عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمهِ
عند المتكلمين

الأستاذ الدكتور
سعيد عبدالحميد الهواري
أستاذ العقيدة والفلسفة
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر الشريف.

الدكتور
محمد عكاشة محمد سيد أحمد
مدرس العقيدة والفلسفة
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر الشريف.

عذاب القبر ونعيمه عند المتكلمين

سعيد عبدالحميد علي الهواري
شعبة أصول الدين– كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين – جامعة الأزهر الشريف.
البريد الإلكتروني : drsaeid2010@yahoo.com
محمد عكاشة محمد سيد أحمد
شعبة أصول الدين– كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين – جامعة الأزهر الشريف.
البريد الإلكتروني : kasht962@gmail.com

الملخص :

يهدف البحث إلى بيان هذا عذاب القبر ونعيمه أكدنا فيه أن الآيات القرآنية والأحاديث قد تواترت على إثبات ذلك وأن كل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر، فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار رماداً أو نسف في الهواء أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من المقبور ، فلا مجال للشك فيه بزعم أن الأحاديث الواردة في شأنه آحاد! ولو سلمنا أنها آحاد فيجب الأخذ بها لأن القرآن يشهد لها، ولو سلمنا أنه لا يوجد في القرآن ما يشهد لها، فهي وحدها كافية لإثبات هذه العقيدة وأثبتنا في هذا البحث أن هناك من الأدلة الحسية التي تقرب المعنى، وتدل على عذاب القبر فالنوم شقيق الموت، والنائم يرى في منامه أنه بمكان فسيح ينعم به، أو يرى أنه في مكان موحش يتألم منه وهو مع ذلك على فراشه وفي حجرته على ما هو عليه ، فالبرزخ في القبر لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمن بالغيب،

والجاحد في التصديق به، فالمؤمن العاقل لا يعتمد على الحواس وحدها، ولو اعتمدنا على حواسنا لبقينا على جهلنا بما وراء المادة.

الكلمات الافتتاحية : العذاب ، النعيم ، القبر، الموت ، العقل ، الحس .

The torment of the grave and its bliss for the theologians

Said Abdel Hamid Ali Al-Hawari.
The Division of Fundamentals of Religion - College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Al-Qurain - Al-Azhar University.
Email: drsaeid2010@yahoo.com
Mohamed akasha Mohamed sayed ahmed
Islamic and Arabic Studies for Girls in Al-Qurain - Al-Azhar University.
Email: kasht962@gmail.com

Abstract:

This research regarding the torment and bliss of the grave, in which we affirmed that the Qur'anic verses and hadiths have been repeated to prove this and that everyone who dies while deserving of the torment gets his share of it, whether or not he is buried If he was eaten by wild beasts, or burned to ashes, or blew up in the air, or drowned in the sea,

his soul and body would reach the level of torment that reaches from the grave , There is no room for doubt about it claiming that the hadiths mentioned about it are single! And if we accept that they are singular, then it must be taken into consideration because the Qur'an bears witness to them, and if we accept that there is nothing in the Qur'an that attests to them ,It alone is sufficient to prove this belief, and they proved in this research that there are sensory evidence that brings the meaning closer, and indicates the torment of the grave, for sleep is the brother of death , And the sleeper sees in his dream that he is in a spacious place in which he enjoys, or he sees that he is in a lonely place that he suffers from while he is still on his bed and in his room as he is. The isthmus in the grave is not perceptible to the sensesAnd if it were perceived by the senses, the benefit of believing in the unseen would be missed, and it would be equal to the believer in the unseen, and the denier in believing in it, for a sane believer does not rely on the senses alone If we rely on our senses, we will remain ignorant of what is beyond matter.

Key words: Torment , bliss , Grave , Death , mind , Sense.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدوه ، وركَّب فيهم العقل ليعرفوه ، وأنعم عليهم نعماً ظاهرة وباطنه ليشكروه ، ومن نعمه أن أرسل محمداً – صلى الله عليه وسلم – إلى كافة أهل البدو والحضر ، فأحلَّ ، وحرَّم ، وأباح ، وحذر ، فصلوات الله عليه وعلى جميع أصحابه الميامين الغُرر ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ...

فإن علم العقيدة أعظم العلوم ، إذ أن موضوعه أجل الموضوعات ، حيث يتناول البحث في الإلهيات والنبوات والسمعيات وهذه هي الأصول والمسلمات والقطعيات في أبواب الدين كله، فالضرورة ملحة لتثبيت العقيدة في قلوب المسلمين، وغرسها بين أجيال الأمة ، خاصة في هذه الظروف التي نعيشها ، إذ لابد لنا أن ننظر إلى ما يدور بخاطر أعداء الإسلام وبخاصة في مجال العقائد.

وكان الحديث يدور قريبا عن قضية عذاب القبر والأحاديث الواردة في شأنه فأحببت أن أوضح أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد تواترت على إثبات ذلك وأن كل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه قبر أم لم يقبر، فلو صار رماداً أو نسف في الهواء وصل العذاب أو النعيم إلى روحه وبدنه ما يصل لأهل القبور ولس هذا هو البحث الأخير في هذا الشأن بل سأكتب فيه إن شاء الله بحثا آخر أعرض فيه شبه المنكرين والرد عليها .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة :

المقدمة : وتكلمت فيها عن أهمية البحث

المبحث الأول : آراء علماء الكلام في عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمهِ:

المبحث الثاني : هل المُعَذَّب والمُنَعَّم في القبر روح الإنسان، أم جسده؟

المبحث الثالث : الألة من القرآن والسنة على عذاب القبر ونعيمه

الخاتمة.

وبعد :

فهذا بحثى أسأل الله تعالى أن ينال القبول ، فقد بذلت غاية جهدي المتواضع فإن أكن قد وفقت فالله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فما إياها قصدت ولا إلى إياها سعيت، وحسبى أنني من جملة البشر فاستغفر الله وأسأله من فضله أن يعفو عن زلاتي وأن يقيل عثراتي وأقول كما قال نبي الله شعيب (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (١)

---

(١) سورة هود: آية ٨٨ .

المبحث الأول

آراء علماء الكلام في عذابِ القبرِ ونعيمهِ

إن مسألة عذاب القبر ونحوها مِن أحكام الآخرة ، قطعياتٌ لا شكُ فيها؛ لأنّ النصّ فيها قاطعٌ وفي الصفحات التالية نحاول إبراز أراء علماء الكلام في هذه المسألة وقد انقسم علماء الكلام بين قائل بها وبين منكر لها فأقول وبالله التوفيق

أولا: عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمهِ عند المثبتين:

إن الذى يلقى نظرة في القرآن الكريم، والسنة المطهرة يجد أن عذاب القبر لمن يستحق العذاب، ونعيمه لمن يستحق النعيم يبدأ منذ قدوم الملائكة لقبض روح الإنسان عند الموت قال الله تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } (١)، فقوله تعالى: "وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ" أي بالضرب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم.

وكذلك قول الله تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (٢) وفى حق أهل النعيم قال تعالى: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٣) مع قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣ .

(٢) سورة الأنفال : ٥٠.

(٣) سورة النحل : ٣٢.

تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [١] . وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تثبت عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمهِ .

وإن كان هذا قبل الدفن، فهو من جملة العذاب أو النعيم الواقع قبل يوم القيامة ، وإنما أضيف العذاب أو النعيم إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته، ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا ما شاء الله" [٢] . [٣]

فعذاب القبر للكافرين، و لبعض عصاة المؤمنين ، خص البعض لأن منهم من لا يريد الله تعالى تعذيبه، فلا يعذب ، و تنعيم أهل الطاعة في القبر بما يعلمه الله تعالى، ويريده، و هذا أولى مما وقع في عامة الكتب من الاقتصار على اثبات عذاب القبر دون تنعيمه، بناء على أن النصوص الواردة فيه أكثر، و على أن عامة أهل القبور كفار و عصاة، فالتعذيب بالذكر أجدر [٤] وهو من الأمور الغيبية التي لا يكمل إيمان المؤمن إلا به ، فهو من أبواب الإيمان باليوم الآخر.

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب[٥]، وأبو أيوب[٦]، وزيد بن ثابت[٧]، وأنس بن مالك[٨]، وأبو هريرة[٩]، وأبو بكرة[١٠]، وعثمان بن أبي

---

(١) سورة فصلت.: ٣٠.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر ود. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (٤/ ١١٨).
(٣) ينظر كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها د . عماد الشربيني الطبعة: الأولى / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م صـ ١٠٣٣ وما بعدها .
(٤) شرح العقايد النسفية : التفتازاني، المحقق: حجازي سقا، احمد الناشر: مكتبه الكليات الازهرية صـ ٦٧
(٥)انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق حديث رقم ٤١١١ ، ٧٤٠٥، وصحيح مسلم، كتاب المساجد، حديث رقم .
(٦)انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب في التعوذ من عذاب القبر، حديث رقم ١٣٧٥ ٤٢٢/١، وصحيح مسلم، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت حديث رقم ٢٨٦٩: ٢٢٠٠/٤.
(٧)انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب مقعد الميت، حديث رقم ٢٨٦٧، ٢١٩٩/٤.
(٨)انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر حديث رقم ١٣٧٤ ٤٢٢/١.
(٩)انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر حديث رقم ١٣٧٧ ٢٢٠٢/١.
(١٠)هو أبو بكرة الثقفي، اسمه نُفَيع بن الحارث بن كَلَدة، وقيل نفيع بن مسروح. انظر الاستغناء لابن عبد البر ١١٨/١. وحديثه في مسند أحمد ٣٩/٥.

العاص[1] وعبد الله بن عباس[2]، وجابر بن عبد الله[3]، وعائشة[4] زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأختها أسماء[5] وغيرهم.

وكذلك الإيمان بمساءلة منكر و نكير و هما ملكان يدخلان القبر فيسألان العبد عن ربه و عن دينه و عن نبيه. (٦) بعد أن يوضع في قبره، وقد اشتملت بعض الأحاديث على ذكر هذين الملكين، وقد ورد التصريح باسميهما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه بطوله ابن حبان في صحيحه ولفظه: " إذا قبر الميت . أو الإنسان . أتاه ملكان أسودان أزرقا يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير ..." (٧) وعلى نتيجة هذه المساءلة يترتب مصير الميت في قبره، إما منعماً لمن ثبته الله، وإما معذباً لمن زل فحار ولم يجب، نسأل الله التثبيت بفضله في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

واعلم أن للصبيان سؤالا، و كذا للأنبياء عند البعض ثابت كل من هذه الأمور ثابت بالدلائل السمعية لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق على ما نطقت به النصوص. قال الله تعالى: «اَلنّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا، وَ يَوْمَ تَقُومُ اَلسّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ اَلْعَذابِ»(٨) و قال الله تعالى: «أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً» (٩)

(١) عثمان بن أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس بن عبد مناف انظر: الإصابة ٦١/٥ .
(٢)انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر حديث رقم (١٣٦١)٤١٨/١.
(٣)عن مسروق قال جاءت يهودية إلى عائشة رضي الله عنها تسألها فقالت لعائشة رضي الله عنها أعاذك أنه الله من عذاب القبر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عائشة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب القبر حق قالت عائشة رضي الله عنها فما سمعته يصلي بعد صلاة إلا وتعوذ من عذاب القبر وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو بكر أحمد بن بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفي بمرو ثنا أبو الموجه ثنا عبدان ابنا أبي عن شعبة عن الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر قالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر رواه البخاري في الصحيح.
(٤)انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر حديث رقم (١٣٧٢)٤٢١/١،.
(٥)انظر صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٣)٤٢٢/١.
(٦) شرح العقايد النسفية : التفتازاني، صـ ٦٧.
(٧) الحديث. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان رقم ((٣١٠٧)) ٤٧/٥-٤٨.
(٨) سورة غافر: ٤٥، ٤٦
(٩) سورة نوح٢٥

وقال النبي صلى الله عليه و سلم «استنزهوا من البول، فان عامة عذاب القبر منه»(١). (٢)

وأهل السنة متفقون على سؤال الميت في قبره، وهذا صحيح، يقول أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته (٣).

ويقول الشهرستاني : "وأما سؤال القبر وعذابه فقد ورد بهما الخبر الصحيح فى كم موضع حتى بلغ الاستفاضة وهو حق)" (٤)

ويقول الإمام الغزالي في الاقتصاد: لا يقبل إيمان عبد حتى يوقن بما أخبر عنه بعد الموت، وأوله سؤال منكر ونكير، وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سوياً ذا روح وجسد، فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة للقبر بعد الموت"(٥).

ويقول صاحب المواقف: إحياء الموتى في قبورهم، ومسألة منكر ونكير، وعذاب القبر للكافر والفاسق كلها حق عندنا، واتفق عليه سلف الأمة (٦).

ويقول شارح المقاصد: اتفق الإسلاميون على حقية سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفار وبعض العصاة فيه ونسب خلافه إلى المعتزلة (٧).

---

(١) إسناده صحيح على شرط الشيخين ، أخرجه ابن المنذر في "الأوسط" (٦٨٩)
(٢) شرح العقايد النسفية صـ ٦٨
(٣) رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ص٢٧٩، تح/ د. عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط٢/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
(٤) ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام للإمام الشهرستاني تحقيق: أحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى /١٤٢٥ هـ ص: ٤٦٩.
(٥) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م ص٦٣.
(٦) شرح المواقف ط دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ٣/ ٥١٦.
(٧)شرح المقاصد في علم الكلام للإمام التفتازاني الناشر دار المعارف النعمانية باكستان سنة النشر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ٢/ ٥٧٦.

ويقول الإمام الآمدي : وقد اتفق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، وأكثرهم بعد ظهوره : على إثبات إحياء الموتى في قبورهم ، ومسألة الملكين لهم ، وتسمية أحدهما منكرًا والآخر نكيرًا ، وعلى إثبات عذاب القبر للمجرمين ، والكافرين . (١)

ويقول الإمام ابن أبي العز الحنفي . رحمه الله : وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا.[٢]

فالنفس إذا فرقت البدن وتجردت ... ليس يصحبها شيء من الهيئات البدنية، وهي عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا متوهمة نفسها الإنسان المقبور الذي مات، وعلى صورته كما كان في الدنيا يتخيل ويتوهم وتتخيل بدنها مقبورا ويتخيل الآلام الواصلة إليها على سبيل العقوبات الحية على ما وردت به الشرائع الصادقة، فهذا عذاب القبر، وإن كانت سعيدة تتخيله على صورة ملائمة على وفق ما كانت تعتقده من الجنات والأنهار والحدائق والغلمان والولدان والحور العين والكأس من المعين، فهذا ثواب القبر فلذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:" القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (٣) "..(٤)

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين للإمام سيف الدين الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة الطبعة: الثانية / ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م: ٤ / ٣٣٢
(٢) شرح الطحاوية ٥٧٨/٢.
(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة (١٦٠/٧)
(٤) مجموعة رسائل الإمام الغزالي نسخة: محققة مصححة بإشراف مكتب الدراسات الناشر: دار الفكر – بيروت بيروت الطبعة: الأولى / ١٤١٦ هـ : ١ / ٣٥٠ .

ثانيا: عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمهِ عند المنكرين:

وأنكر عذاب القبر بعض المعتزلة و الروافض، لأن الميت جماد لا حياة له ولا ادراك، فتعذيبه محال لأن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران و العقارب و الحيات، وهذا صحيح، وهو كذلك (١)

فالجهمية والمعتزلة أنكروا عذاب القبر ونعيمه، وقالوا: إنا نكشف القبر؛ فلا نجد فيه ملائكة يضربون الموتى، ولا حيات، ولا تعابين، ولا نيران ، وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ، وكيف يصير القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟!.

وقد نسب هذا إليهم الإمام أبي المعين النسفي في كتابه "بحر الكلام"، (٢) والإمام أبو منصور الماتريدي ، ونسبه الأشعري إلى المعتزلة والخوارج(٣)، ونسبه أبو الحسين الملطي إلى الجهمية فقط(٤) .

هذا والمشهور عند علماء الكلام أن إنكار سؤال القبر وعذابه يِنُسب إلى المعتزلة، وهذا القول إنما هو قول ضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن تبعهما .

يقول القاضي عبد الجبار تحت عنوان : "فصل في عذاب القبر" "وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة إلا شيء يُحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة (أي الجبرية)، ولهذا نرى ابن الراوندي يشنع

---

(١) الأربعين في أصول الدين للغزالي الناشر: دار الكتب العلميه بيروت صـ ١٧٠
(٢) بحر الكلام تعليق د. ولي الدين محمد صلاح الفرفور، مكتبة دار الفرفور، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م ص٢٤٩
(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، ط: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ج٢ ص٣١٨
(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي (ط المكتبة الأزهرية للتراث، ت محمد زاهد الكوثري) ص١٢٤

علينا ويقول : إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يُقِرُّون به"[١] .

ويؤكد الإمام التفتازاني ما قاله القاضي عبد الجبار فيقول : " اتفق الإسلاميون على حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفار وبعض العصاة فيه ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة قال بعض المتأخرين منهم حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو وإنما نسب إلى المعتزلة وهم براء منه لمخالطة ضرار إياهم وتبعه قوم من السفهاء المعاندين للحق" (٢)ومن المعتزلة من يقول : أن عذاب القبر إنما يقع على الكفار دون المؤمنين، وهو مذهب بعض المعتزلة؛ كالجَيَّاني، حكاه عنهم الحافظ في فتح الباري .(٣)

ويعلق الإمام الغزالي رحمه الله على قول المنكرين فيقول : والجاهل ينكره إذ يقول: إني أنظر في قبره فلا أرى ذلك أصلا. فليعلم الجاهل أن هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت، أعني ذات روحه لا ذات جسده، فإن الروح هي التي تتألم و تتنعم، بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه، لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فأحس بلدغه بعد الموت. و ليتحقق أن هذا التنين مركب من صفاته و عدد رءوسه بقدر عدد أخلاقه الذميمة، و شهواته لمتاع الدنيا. و أصل هذا التنين حبّ الدنيا، و تتشعب عنه رءوس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد و الحقد و الرياء و الكبر و الثروة و المكر و الخداع و حب الجاه و المال و العداوة (٤)

(١) شرح الأصول الخمسة ص٧٣٠
(٢) شرح المقاصد في علم الكلام للإمام التفتازاني الناشر دار المعارف النعمانية باكستان سنة النشر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ٢ / ٢٢٠
(٣) شرح صحيح مسلم تأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م : ٢٦ / ٣٧
(٤) الأربعين في أصول الدين للغزالي الناشر: دار الكتب العلميه بيروت صـ ١٧٠

ولا شك أن المنكرين اعتمدوا على حواسهم في الإنكار وحواسنا لا تدرك ما حولنا إلاّ ما قدر لها، فنحن نؤمن بأنَّ الملائكة الموكلين بحفظ العباد وكتابة أعمالهم معنا، ولا ندركهم بشيء من حواسنا، فإن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، من أمور العقيدة المجمع عليها عند أهل السنة الجماعة؛ من أجل ذلك قمت بإعداد هذا البحث وقد تحدثت في هذه البحث وسوف أذكر أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه ، من القرآن والسنة، وأترك الحديث عن شبه المنكرين لعذاب القبر والرد عليهم في بحث مستقل أكتبه وانشره إن شاء الله تعالى إن قدر الله لنا البقاء .

المبحث الثاني
هل المعذب والمنعم في القبر روح الإنسان، أم جسده؟

ثلاثة أقوال في هذا الشأن :

القول الأول :

يرى أكثر المثبتين لعذاب القبر ونعيمه أن المعذب والمنعم هو الروح والبدن جميعًا، فالروح وإن كان قد فارقته بالموت، ولكن ليست المفارقة مفارقة كلية، لأن الروح تعلق بالبدن في القبر بعد الموت، وتعاد إليه كما جاء في الحديث أنها تعاد إليه روحه وأنه يحيى، ولكن حياة لا نعرف حقيقتها؛ لأنها حياة برزخية.

عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم واللفظ للبخارى أن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا فى الجنة ، قال النبى فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين..[(١)]

القول الثاني :

وذهب الصالحي[(٢)] من المعتزلة وابن جرير الطبري وجماعة من الكرامية إلى أن

(١) أخرجه البخاري في الصحيح عن أنس ج٢ ص٩٠ برقم (١٣٣٨)، وج٢ ص٩٨ برقم (١٣٧٤)، ومسلم في الصحيح عنه ج٤ ص٢٢٠٠ برقم (٢٨٧٠)

(٢) هو أبو الحسين محمد بن مسلم الصالحي، من أهل البصرة، كان عظيم القدر في علم الكلام، وكان يميل إلى الإرجاء وله في ذلك مناظرات مع أبي الحسين الخياط، وله من المصنفات كتاب الإدراك الأول وكتاب الإدراك الثاني، عده القاضي عبد الجبار وأحمد بن يحيى بن المرتضي ضمن الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة . (فضل الاعتزال ص٢٨١، وطبقات المعتزلة ص٧٢، والوافي بالوفيات ج٥ ص١٩)

المعذب هو البدن فقط، حيث يخلق الله تعالى فيه إدراكًا بحيث يسمع ويتلذذ ويتألم(١) . (٢)

القول الثالث :

ويرى ابن حزم أن المعذب والمنعم هو الروح فقط فيقول : إن فتنة القبر وعذابه والمسألة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك قبر أو لم يقبر برهان ذلك قول الله تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ } [الأنعام: ٩٣] الآية وهذا قبل القيامة بلا شك وأثر الموت وهذا عذاب القبر وقال { وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران: ١٨٥] وقال الله تعالى في آل فرعون { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } [غافر: ٤٦] فهذا العرض المكور هو عذاب القبر وإنما قيل عذاب القبر فأضيف إلى القبر لأن المعهود في أكثر الموتى أنهم يقبرون وقد علمنا أن فيهم أكيل السبع والغريق تأكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق .... فإنه يعود رمادا أو رجيعا أو يتقطع فيعود إلى الأرض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها إلى يوم القيامة وأما من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ .... فصح ...أن روح من مات لا يرجع إلى جسده إلا إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة .

واستدل أيضا بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلي ليلة الإسراء وأخبر أنه رآه في السماء السادسة أو السابعة وبلا شك إنما رأى روحه وأما جسده فتوارى بالتراب بلا شك فعلى هذا أن

---

(١) تبصرة الأدلة ج٢ ص١٠٣٤، وأبكار الأفكار ج٣ ص٢٥٣ ، وشرح المواقف م٤ ج٨ ص٣٤٦ ، وشرح المقاصد ج٥ ص١١٧ ، وفتح الباري لابن حجر ج٣ ص٢٣٥

(٢) وقد ذكر صاحب المواقف أن هذا خروج عن المعقول لأن الجماد لا حس له فكيف يتصور فيه تعذيب ينظر شرح المواقف م٥ جـ ٨ صـ ٣٤٦ .

موضع كل روح يسمى قبرا فتعذب الأرواح حينئذ ولا تسأل حيث كانت . [١]

ومما لا شك فيه أن هذا القول والذي قبله ضعيفان وذلك لأن اللذة والألم والمساءلة والتكلم ونحو ذلك لا يُتصور بدون العلم والحياة، ولا حياة مع فساد البنية وبطلان المزاج، فهذه الاستبعادات لا تنفي الإمكان كسائر خوارق العادات، وإذ قد أخبر الصادق بها لزم التصديق فالصواب الرأي الأول الذي يقول أن العذاب والنعيم للروح والجسد معا .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة : ٥٧/٤

المبحث الثالث
الألة من القرآن والسنة على عذاب القبر ونعيمه

أولًا: عذاب القبر ونعيمه في القرآن:

لعذاب القبر أدلة من القرآن الكريم منها ما يلي :

الدليل الأول :

قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾(١).

يقول الراجحي : ووجه الاستدلال أن الله أخبر في أول الآية، أنهم يعرضون على النار غدوا وعشيا، ثم قال في الختام: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } فدل على أن العرض السابق إنما هو في القبر قبل يوم القيامة، وهذا يدل على إثبات عذاب القبر.» (٢)

وقد أخذ القائلون بـ"عذاب القبر" من هذا الفهم لهذه الآية دليلًا من القرآن على عذاب القبر ونعيمه ، أما حجة القائلين بأنّ قوله يفيد ذلك، فمبنية على كون "الفاء" والتي "تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء.

فإنه لم يُرد أن ذلك في الآخرة، وإنما أراد أنهم يعرضون عليها بعد مماتهم في القبور، وهذا شاهد من كتاب الله لعذاب القبر، يدلك على ذلك قوله: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} فهم في البرزخ يعرضون على النار غدواً وعشياً، وفي القيامة يُدخلون أشد العذاب. (٣)

---

(١) سورة غافر: ٤٦
(٢) شرح الطحاوية للراجحي ص٣٠٢
(٣) تأويل مشكل الحديث ص٨٣، وانظر تفسير ابن كثير ١٣٦/٧.

فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدوا وعشيا[١]

الدليل الثاني :

قوله تعالى: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً﴾[٢] "اختلف المفسّرون في شرح هذه الآية. والإشكال الذي طرحوه يتعلق بقوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾. منهم من قال إنه مباشرة بعد حدوث الغرق أدخلوا "نارًا"، وبما أن "نار جهنم" زمانها بعد قيام القيامة والحساب، فقد قالوا إن "النار" هنا تعني "عذاب القبر".

فالآية دلت على أن العَرْض قبل يوم القيامة، لأن العطف يقتضي المغايرة، وليس ذلك العَرْض في الدنيا فيكون في القبر ، والفاء هنا تفيد التعقيب، فدخول النار عقب الغرق مباشرة يكون في البرزخ وليس في القيامة ، وذلك مثل قوله في حق الشهداء {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ٠ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"}[٣] ، فهذا النعيم قبل يوم القيامة؛ لأن الآية ترشدنا إلى عدم اعتبارهم أمواتًا، كما تخبرنا بأنهم يتمتعون – وهم في هذه الحالة – بأمور دنيوية مثل الفرح والاستبشار بإخوانهم الذين ما زالوا في الدنيا ينتظرون الشهادة .

يقول الإمام النسفي: "والأصل فيه قوله تعالى في قوم نوح عليه السلام: {أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا}، والفاء للتعقيب والترتيب بلا تراخ، ولن يكون ذلك إلا في الدنيا؛ لأن إغراقهم كان فيها، فكذا يكون إدخال النار فيها.[٤]

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق: د. فوقية حسين محمود الناشر: دار الأنصار – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ صـ ٢٥٠
(٢) سورة نوح٢٥، ٢٦
(٣) آل عمران١٦٩،١٧٠.
(٤) أبو البركات النسفي: الاعتماد: ٤٣٢

الدليل الثالث :

قال الله تعالى: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ }(١).

روى الشيخان عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيِّي محمدٌ صلى الله عليه وسلم، فذلك قوله عز وجل: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (٢).

وصح في تفسير ذلك مرفوعاً أن التثبيت في الآخرة بذلك هو الشهادتان في القبر عند المسألة وأنه بعد شهادتهما يُبَشَّرُ، ويرى مقعده من الجنة، ولا يُمتَحَنُ بالسؤال عن غيرهما في جميع الأخبار المتفق على صحتها.»(٣)

وأورد أبو داود حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المسلم إذا سئل في القبر فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قول الله عز وجل: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} .

يعني: أن هذا التثبيت في الآخرة وذلك بأن يثبت عند السؤال، وهو يثبت في الدنيا على سلوك طريق الحق والنجاة، وعلى سلوك الصراط المستقيم، وذلك بإعطاء العبد خير زاد وأفضل زاد يكون في هذه الحياة الدنيا وهو زاد التقوى.

وكل سفر لابد فيه من زاد، فسفر الدنيا يحتاج إلى زاد، وذلك أن الإنسان يحمل ما يحتاج إليه من النقود حتى لا يحتاج إلى الناس، وأما الآخرة فالزاد إليها هو تقوى

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.
(٢) البخاري حديث: ١٣٦٩.
(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٩/ ٢٠٤).

الله عز وجل والاستقامة على أمره سبحانه.

وقوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} .

أي بالتزام الحق في الحياة الدنيا، وبحصول الجواب السديد عندما يسألون في القبر، فيجيب بالأسئلة السديدة التي نتائجها وعواقبها حميدة.

وفي الحديث بيان أن السنة تبين القرآن، فإن هذا الحديث يبين أن هذا هو القول الثابت في الآخرة، وأن الله يثبت المؤمن في الآخرة وذلك بأن يأتي بهذا الجواب السديد، وهذا التثبيت في الآخرة مبني على الثبات في الدنيا على الصراط المستقيم، وعلى سلوك المنهج القويم، وهو الإيمان بالله والالتزام بما جاء عن الله وعن رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}.(١)

والإمام الطبري يذكر الصواب بأن مذهب أهل التأويل في هذه المسألة: أن التثبيت في الآخرة هو الإجابة في القبر فهو لا يعد من الدنيا أو منازلها فيقول: (وقوله في الآخرة أي في القبر، والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله في ذلك، وهو أن معناه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد، وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله، وأما قوله: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} فإنه يعني أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة في القبر لما هدي له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل).(٢)

(١) شرح سنن أبي داود للعباد : (٥٣٩/ ٣):
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠ الطبعة: بدون تاريخ نشر : ١٣ / ٦٦٧

يقول النسفي: مبينا أن المراد بالآخرة هو عذاب القبر وأن هذا قول الجمهور: على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب. . ويضل الله الظالمين فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأزل). [١]

وكذلك ذهب الألوسي إلى هذا لكنه لم يحصر الآخرة به، بل جعله جزءا من الآخرة والتثبيت للمؤمن في جميع أجزاء الآخرة فقال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} الذي ثبت عندهم وتمكن. . {وَفِي الْآخِرَةِ} أي بعد الموت وذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة. . . عن البراء بن عازب أنه قال : في الآية التثبيت في الحياة الدنيا إذا جاء الملكان إلى الرجل في القبر، فقالا له: من ربك؟ قال: ربي الله، قالا: وما دينك؟ قال: ديني الإسلام، قالا: ومن نبيك؟ قال: نبيي محمد صلى الله عليه وسلم. [٢]

الدليل الرابع :

قال جل شأنه: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[٣].

* البرزخ: هو الفترة التي يقضيها الإنسان في قبره من بعد موته إلى قيام الساعة، قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): قال أبو هريرة: إذا وضع – يعني الكافر – في قبره، فيرى مقعده من النار، قال: رب، ارجعونِ أتوب وأعمل صالحًا، فيقال: قد عمرت ما كنت معمرًا، قال: فيضيق عليه قبره، قال: فهو كالمنهوش، ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها؛[٤].

(١) تفسير النسفي: ٢/ ٢٣٠.
(٢) روح المعاني / الألوسي: ١٣/ ٢١٧.
(٣) سورة المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.
(٤) تفسير ابن كثير جـ ١٠ ـ صـ ١٤٧.

روى هناد بن السري قال حدثنا محمد بن فضيل، ووكيع عن فطر قال سألت مجاهداً عن قول الله تعالى: {ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون} قال هو ما بين الموت والبعث.

وقيل للشعبي: مات فلان ، قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة هو في برزخ، والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين، ومن قوله تعالى: {وجعل بينهما برزخاً} أي: حاجزاً وكذلك هو في الآية من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ وقوله تعالى: {ومن ورائهم برزخ} أي من أمامهم وبين أيديهم.[١].

<u>الدليل الخامس</u> :

قال سبحانه: { وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}[٢] .

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): إن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} أي: أشده ألَمًا وأعظمه نكالًا، وهذه الآية أصلٌ كبيرٌ في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [٣].

ويقول الإمام النسفي:" في آل فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} ، فيقول: "أي: في الدنيا لقوله: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} "[٤].

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص٤٧٦)
(٢) سورة غافر: ٤٥، ٤٦
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١٢ صـ ١٩٣
(٤)أبو البركات النسفي: الاعتماد: ص ٤٣٣.

الدليل السادس:

قال الله تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}(١) .

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): قال الله: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} أي: في سكَراته وغمَراته وكُرباته.

{وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} ؛ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} وذلك أن الكافر إذا احتُضِر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: { أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله؛(٢) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني (رحمه الله): هذا الضرب، وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر؛ لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوبٌ عن الخلق، إلا من شاء الله (٣).

---

(١) الأنعام: ٩٣.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٦ صـ ١١٣.
(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ ٣ صـ ٢٧٦: ٢٧٥.

الدليل السابع :

قال سبحانه: { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}(١).

«قَالَ ابو حنيفَة من قَالَ لَا اعرف عَذَاب الْقَبْر فَهُوَ من الْجَهْمِية الهالكة لِأَنَّهُ انكر قَوْله تَعَالَى {سَنُعَذِّبُهُمْ مرَّتَيْنِ} يَعْنِي عَذَاب الْقَبْر وَقَوله تَعَالَى {وَإِن للَّذين ظلمُوا عذَابا دون ذَلِك} يَعْنِي فِي الْقَبْر فَإِن قَالَ أُؤْمِن بِالْآيَةِ وَلَا أُؤْمِن بتأويلها وتفسيرها قَالَ هُوَ كَافِر لِأَن من الْقُرْآن مَا هُوَ تَنْزِيله تَأْوِيله فَإِن جحد بهَا فقد كفر»(٢) .

ويقول الإمام الأشعري في قول الله تعالى: (سنعذبهم مرتين) مرة بالسيف، ومرة في قبورهم، ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة.»(٣) .

ويقول صاحب تفسير تأويلات أهل السنة في قوله تعالى (سنعذبهم مرتين): عند الموت ضرب الملائكة الوجه والأدبار؛ كقوله: (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)، وفي القبر منكر ونكير (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ): في الآخرة ، (٤) روى ابن جرير الطبري عن قتادة {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} عذاب الدنيا وعذاب القبر، {ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} (٥).

الدليل الثامن:

قال جل شأنه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(٦).

عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه

(١) سورة التوبة: ١٠١
(٢) الفقه الأكبر» (ص١٣٧)
(٣) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري» (ص٢٥٠)
(٤) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٦٣)
(٥) تفسير الطبري جـ ١٤ صـ ٤٤٢
(٦) سورة طه: ١٢٤

أضلاعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله (مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) ، عن أبي صالح والسديّ، في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر، وعن أبي سعيدٍ الخدري، قال في قول الله: {مَعِيشَةً ضَنْكًا} قال: عذاب القبر؛ [1] «عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أَتَدْرُونَ فِيمَ أُنزلتْ هَذِهِ الآيَة (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أَتَدْرُونَ مَا المعيشَةُ الضَّنْكُ؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عَذَابُ الكافرِ فِي قَبْرِه، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنَّه لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينا، أَتَدْرُونَ ما التِّنِينُ: تسْعَةٌ وَتسْعُونَ حَيَّه، لكلّ حَيَّه سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَيخْدِشُونَهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ[2].

الدليل التاسع :

قال تعالى: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [3].

قَالَ ابو حنيفَة من قَالَ لَا اعرف عَذَاب الْقَبْر فَهُوَ من الْجَهْمِية الهالكة لِأَنَّهُ انكر قَوْله تَعَالَى {سَنُعَذِّبُهُمْ مرَّتَيْنِ} يَعْنِي عَذَاب الْقَبْر وَقَوله تَعَالَى {وَإِن للَّذين ظلمُوا عذَابا دون ذَلِك} يَعْنِي فِي الْقَبْر فَإِن قَالَ أُؤْمِن بِالْآيَةِ وَلَا أُؤْمِن بتأويلها وتفسيرها قَالَ هُوَ كَافِر لِأَن من الْقُرْآن مَا هُوَ تَنْزِيله تَأْوِيله فَإِن جحد بهَا فقد كفر»[4]

وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباسٍ، قوله تعالى: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} يقول: عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة [5].

وروى عن قتادة، أن ابن عباسٍ كان يقول: إن عذاب القبر في القرآن، ثم تلا: { وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} [6].

(١) "تفسير الطبري " جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١٨/ ٣٩٣):
(٢) نفس المصدر(١٨/ ٣٩٤)
(٣) سورة الطور: ٤٧
(٤) الفقه الأكبر» (ص١٣٧)
(٥) تفسير الطبري جـ ٢٢ صـ ٤٨٧
(٦) تفسير الطبري جـ ٢٢ صـ ٤٨٧

وروى البيهقي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} قَالَ: " عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة " "[١]

وَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: في قوله تعالى { وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} هو عذاب القبر... { وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } أن العذاب نازل بهم. [٢]

يقول الإمام الرازي في قوله" دُونَ ذَلِكَ " أي أقل من ذلك في الدوام والشدة يقال الضرب دون القتل في الإيلام، ولا شك أن عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة على هذا المعنى، وعلى هذا ففيه فائدة التنبيه على عذاب الآخرة العظيم وذلك لأنه إذا قال عذابا دون ذلك أي قتلا وعذابا في القبر فيتفكر المتفكر ويقول ما يكون القتل دونه لا يكون إلا عظيما، فإن قيل فهذا المعنى لا يمكن أن يقال في قوله تعالى: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قلنا نسلم ذلك ولكن لا مانع من أن يكون المراد هاهنا هذا الثاني على طريقة قول القائل: تحت لجاجك مفاسد ودون غرضك متاعب، وبيانه هو أنهم لما عبدوا غير الله ظلموا أنفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي خلقت له فقيل لهم إن لكم دون ذلك الظلم عذابا. [٣]

ويقول الراجحي ووجه الدلالة:أن قوله: {عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيان وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيرا منهم مات، ولم يعذب في الدنيا، أو أن المراد أعم من ذلك، فيشمل مجموع الأمرين عذابهم في الدنيا أو في البرزخ،وعلى كل حال، ففيه إثبات عذاب القبر.»[٤].

---

(١) شعب الإيمان» (١/ ٦١٠)
(٢) تفسير البغوي - إحياء التراث» (٤/ ٢٩٦)
(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (٢٨/ ٢٢٨)
(٤) شرح الطحاوية للراجحي ص٣٠٢ .

الدليل العاشر :

قال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}(١) .

يقول الإمام الأشعري : أخبر الله تعالى أن الشهداء في الدنيا يرزقون ويفرحون بفضل الله تعالى، قال الله تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } وهذا لا يكون إلا في الدنيا؛ لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.» (٢)

فأكثر الأمة تقول: إن اللهَ يحييهم في قبورهم وينعمَ أرواحَهم في أجسامهم أو بعضهم، ومنهم من يقول: إن ذلك حالَهم دائما ومنهم من يقول: ذلك عند المسائلة في القبر، وبعد فراق منكرٍ ونكيرٍ له... وقد بيّن هذا الكلام ما ورد فيه من الأخبار في باب عذاب القبر ونعيمه، وهذا ليس بمستحيلٍ من جهة العقل. (٣)

وقد علق الإمام الغزالي على هذه الآية { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } فقال : وقد في السنة من الأخبار بشعور الأرواح بالصدقات والخيرات وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر وغيره وكل ذلك يدل على البقاء.(٤)

ولهذه الأدلة ذهب أهل السنة والجماعة إلى الإيمان بفتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه مفوضين علم حقيقة ذلك إلى الله، فإنَّ الإيمان بأحوال القبور هو من الإيمان

---

(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.
(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري» (ص٢٥٠)
(٣) الانتصار للقرآن للباقلاني» (٢/ ٧٣٨).
(٤) تهافت الفلاسفة» (ص٢٩٩).

بالغيب الذي هو مناط التكليف وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب، ولهذا أثنى الله به على المتقين فقال: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[1].

ثانيًا: عذاب القبر ونعيمه في السنة:

الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وفى كثير من أحوال الآخرة متواترة المعنى. وإن لم يبلغ آحادها حد التواتر. (٢) فهي تثبت عذاب القبر أو نعيمه وسؤال الملكين بروايات عديدةٍ ، وتوجب الاعتقاد الجازم بصحة حدوث ذلك، نذكر منها:

(١) روى البخاري عن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من عذاب القبر فيقول : اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال.[3].

(٢) روى الشيخان عن عبدالله بن عباسٍ، رضي الله عنهما، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبي، فأما الأول فكان يمشي بين الناس بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله" قال الإمام النووي (رحمه الله): في هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وهو مذهب أهل الحق. [4]

(٣) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن يهوديةً دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذكِ الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صلى

(١) سورة البقرة: ٢-٣ .
(٢) شرح العقايد النسفية : التفتازاني، صـ ٦٧
(٣)صحيح البخاري للإمام البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ : ٨ / ٨١ حديث: ٦٣٧٧.
(٤)صحيح البخاري : ٨ / ١٧ حديث رقم ٦٠٥٢ ومسلم بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت : ١ / ٢٤٠ رقم ٢٩٢.
٢٠٦.

الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذاب القبر حق، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوذ من عذاب القبر؛[١].

(٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَيُونُسُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا فِي الْجَنَّةِ "، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا " قَالَ رَوْحٌ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: فَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خُضْرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ أي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي. كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً فَيَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ "، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: " يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ " [٢].

(٥) روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربعٍ: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال؛[٣].

(٦) روى مسلم عن علي بن أبي طالبٍ، رضي الله عنه، قال: لما كان يوم الأحزاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا، كما

(١) البخاري حديث: ١٣٧٢.
(٢) صحيح البخاري رقم ١٣٧٤ومسند أحمد (١٩/ ٢٨٩ ط الرسالة).
(٣) مسلم حديث: ٥٨٨.

حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس .[١]

(٧) روى مسلم عن زيد بن ثابتٍ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه.[٢].

(٨) روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قُبِر الميت – أو قال: أحدكم – أتاه ملَكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نَمْ، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. [٣]

(٩)عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – فِي الْمَيِّتِ إِذَا دُفِنَ أَنهُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ إِذَا وَلوْا عَنْهُ مُدْبرِينَ [٤]

(١٠) وأمّا حديث القليب، فهو ثابت عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – من حديث أنس عنه: "أَنْهُ وَقَفَ عَلَى كفَّارِ قُرَيْشٍ؛ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأَبِي جَهْل بْنِ هِشَامٍ، وَأَشْيَاعِهِمْ، وَهُمْ أَهْلُ القَلِيبِ، فَنَادَاهُمْ

(١) مسلم حديث: ٦٢٧.
(٢) مسلم حديث: ٢٨٦٧
(٣) صحيح الترمذي حديث: ٨٥٦
(٤) أخرجه البخاري في المغازي (٣٩٧٨ - ٣٩٧٩ - ٣٩٨٠ - ٣٩٨١).

بِأَسمائِهِمْ: هَلْ وَجَدتُّمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدتُّ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا"، فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ أتنادي قومًا قد جيفوا؟ فقال: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ لمِا أَقُولُ، وَلَكِنّهمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا"[١].

فأخبر – صلى الله عليه وسلم – أنّهم سمعوه، وقد يحتمل أن يكون وقوفه عليهم ونداؤه إيّاهم كان في الوقت الذي تُرَدّ فيه الروح في القبر إلى من يساءل عن ربّه ودينه، وقد أخبر – صلى الله عليه وسلم – أنّ المنافق هو في الدرك الأسفل من النار يساءل عن ذلك، فغير نَكِير أن يساءل عن ذلك أو بعضه أو ما يشبهه مَن جحد بآيات الله واستمعتها نفسه من كفّار قريش وغيرهم، وقد ثبت عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – أنّ اليهود تعذّب في قبورها [٢] وسائر الكفّار في القياس مثلهم[٣].

وقد يمكن أن يكون أثر أهل القليب خصوصًا بهم، خُصُّوا بِرَدِّ أفهامِهم إليهم ففهموا عنه عليه السلام، وقد قال – صلى الله عليه وسلم –: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ"، وهو عليه السلام لا يقول إلّا حقًّا، وليكن هذا لمن يكون على مذهب من يقول: إنّ

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبري (٢/.
(٢) حديث عذاب اليهود في قبورهم أخرجه البخاري في [الجنائز (١٣٧٥) باب التعوّذ من عذاب القبر]، ومسلم في [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٩).
(٣) وقع الخلاف عن السؤال في القبر أهو خاصّ بمن يدّعي الإيمان محقًّا كان أو مبطلًا - كالمنافق - أم أنه يشمل الكافر؟ والصواب - والله أعلم - أن السؤال يشمل الجميع، ففي حديث أنس في عذاب القبر، قال - صلى الله عليه وسلم -: "وأمّا المنافق أو الكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ ... "، وفي رواية له: "وأمّا الكافر أو المنافق"، وفي رواية لأبي داود من حديث أبي هريرة: "وإن الكافر إذا وضع"، وفي رواية أحمد من حديث أبي سعيد: "وإن كان كافرًا أو منافقًا"، وفي رواية عن أسماء: "فإن كان فاجرًا أو كافرًا"، وفي رواية أخرى لها في الصحيحين: "وإنّ المنافق أو المرتاب".
قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٣/ ٢٨٢): "فاختلفت هذه الروايات لفظًا، وهي مجتمعة على أن كلًّا من الكافر والمنافق يسأل، ففيه تعقيب على من زعم أنّ السؤال إنما يقع على من يدّعي الإيمان، إن محقًّا أو مبطلًا، ومستندهم ما رواه عبد الرزاق من طريق عبيد بن عمير - كذا، والذي في "المصنّف" (٣/ ٥٩) عن ابن جريج قال: قال عبد الله بن عمر فذكره - أحد كبار التابعين، قال: "إنما يفتن رجلان مؤمن ومنافق، وأمّا الكافر فلا يسأل عن محمد ولا يعرفه"، وهذا موقوف، والأحاديث الناصّة على أن الكافر يسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة، فهي أولى بالقَبول"، ثم نسب إلى ابن عبد البرّ القول بأنّ الكفار لا يسألون عن دينهم، والمثبت في النسخة خلاف ما نسبه ابن حجر، وقبله ابن القيم في "الروح"، إلّا أن يكون قصدهم ما ذكره ابن عبد البرّ في "الاستذكار" (٣/ ٨٨) قال: "وأمّا قوله: "إنّ أحدكم" فإنّ الخطاب موجّه إلى أصحابه وإلى المنافقين، والله أعلم، فيعرض على المؤمن مقعده من الجنّة، وعلى المنافق مقعده من النار"، وانظر: "التمهيد" (١٤/ ١٠٩).

الأرواح على أفنية القبور ولم يكن لهم قبر إلّا القليب، فكانت أرواحهم تسمع ذلك، وإن لم تردّ إلى أجسادهم، ألا ترى إلى سَلامِه – صلى الله عليه وسلم – على أهل المقبرة؛ وقوله – صلى الله عليه وسلم –: "السَّلَامُ عَلَيكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمنينَ"[(١)].

ويمكن أن يكون معناه ما لا نُدركُه نحن، ولم نُؤْتَ مِن نوع هذا العلم إلّا قليلًا على إبانة من الله عز وجل، فإنّ ما صحّ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا تضرب له الأمثال، ولا يدخل عليه المقاييس، فلا يُؤمِن عبدٌ يَجِد حرجًا في نفسه من قضاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فهو العالم بمراد الله عز وجل، وبه عَلِمْنا ما عَلِمْنا، وإنّما بُعِث إلى أُمّتِه وهي لا تعلم شيئًا؛ جزاه الله عنها بأفضل ما جزى نَبِيًّا عن أمّته.

(١)أخرجه مسلم في [الطهارة (٢٤٩) باب استحباب إطالة الغرّة والتحجيل]، وفي [الجنائز (٩٧٤) باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، من حديث أبي هريرة، وأخرجه غيره.

الخاتمة

وبعد .. .فقد أكدنا فيه أن الآيات القرآنية والأحاديث قد تواترت على إثبات ذلك وأن كل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه قبر أم لم يقبر، فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار رماداً أو نسف في الهواء أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من المقبور ، فلا مجال للشك فيه بزعم أن الأحاديث الواردة في شأنه آحاد! ولو سلمنا أنها آحاد فيجب الأخذ بها لأن القرآن يشهد لها، ولو سلمنا أنه لا يوجد في القرآن ما يشهد لها، فهي وحدها كافية لإثبات هذه العقيدة وأثبتا في هذا البحث أن هناك من الأدلة الحسية التي تقرب المعنى، وتدل على عذاب القبر فالنوم أخو الموت، والنائم يرى في منامه أنه بمكان فسيح ينعم به، أو يرى أنه في مكان موحش يتألم منه وهو مع ذلك على فراشه وفي حجرته على ما هو عليه.

فالبرزخ في القبر لا يدركه الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمن بالغيب، والجاحد في التصديق به، فالمؤمن العاقل لا يعتمد على الحواس وحدها، ولو اعتمدنا على حواسنا لبقينا على جهلنا بما وراء المادة.

أهم المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١. الإبانة عن أصول الديانة ،لأبي الحسن الأشعري، ط:مكتبة الإيمان – العجوزة– القاهرة ، ومكتبة الجامعة الأزهرية أسيوط–مصر، (د/ ت) .

٢. أبكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين الآمدي ، ت: د/ محمد أحمد المهدي، ط: دار الكتب والوثائق المصرية (ط٢) لسنة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م،.

٣. إشارات المرام من عبارات الإمام أبى حنيفة النعمان في أصول الدين كمال الدين أحمد بن حسن البياضي ت: د: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، (ط١)لسنة: ٢٠٠٧م.

٤. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، ت: موفق فوزي الجبر ،ط/ دار الحكمة – دمشق، (ط١)لسنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥. الآمدي وآراؤه الكلامية ، د حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، ط: دار السلام – القاهرة، (ط١)لسنة ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م .

٦. الانتصار، للخياط، ط :دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥م.

٧. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، ت، محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانكي،(ط٣) لسنه ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.

٨. بحر الكلام ، أبو المعين النسفي، ت:د: ولي الدين محمد صالح الفرفور،ط: مكتبة دار الفرفور. دمشق، (ط٢)لسنة ١٤٢١ هـ.٢٠٠٠ م.

٩. تأويلات أهل السنة ، أبو منصور الماتريدي، ت: د. مجدي باسلوم ،ط: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، (ط/١)لسنه ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٠. تبصرة الأدلة، لأبي المعين النسفي، ت: د محمّد الأنور حامد، رسالة دكتوراه ، ط:المكتبة الأزهرية للتراث (ط١) لسنة ٢٠١١م.

١١. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين : أبو المظفر الإسفراييني، ت: كمال يوسف الحوت ، ط:عالم الكتب– بيروت، (ط١)لسنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م

١٢. تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، لأبي القاسم على بن هبة الله بن عساكر ، ط: دار الكتاب العربي ، (ط٣)لسنة ١٤٠٤هـ.

١٣. تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ت: د خضر محمد نبها، ط: دار الكتب العلمية–بيروت– لبنان،(ط١)لسنة ٢٠٠٨م.

١٤. حاشية ابن الأمير على أتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، لمحمد لن محمد بن أحمد

١٥. غاية المرام في علم الكلام، لأبي الحسن سيف الدين الآمدي ، ت: أحمد فريد المزيد، ط: دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان–، (ط١) لسنة١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

١٦. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ت: د: حمود غرابة، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، (ط١)لسنة ١٤٣١ هـ–٢٠١٠م.

١٧. المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار، جمع الحسن بن متويه، ت: عمر السيد عزمي مراجعة أحمد الأهواني، (ط : الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د/ت).

١٨. المختصر في أصول الدين ، للقاضي عبد الجبار، ضمن مجموع رسائل العدل والتوحيد، ت: د: محمد عمارة، ، ط: دار الشروق، (ط٢)لسنة ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.

١٩. المغني في أبواب التوحيد والعدل "الأصلح – استحقاق الذم – التوبة" ، للقاضي عبد الجبار ، ت: مصطفى السقا، ، إشراف الدكتور طه حسين(ط/د).

٢٠. سُنَن ابن مَاجَه: لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يَزِيد القَزْوِينِي، المَعْرُوف بابن مَاجَه (ت ٢٧٣ هـ)، دار النشر: دار الفكر . بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١. صَحِيح البُخَارِي دار النشر: دار ابن كثير . اليمامة، بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م، تحقيق: الدكتور/مصطفى ديب البغا.

٢٢. صَحِيح مُسْلِم دار النشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٣. صَحِيح مُسْلِم بشَرْح النَّوَوِي دار النشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة: الثانية، سنة النشر: ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م

٢٤. مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط٣)– ١٤٢٠ هـ.

٢٥. مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن على بن اسماعيل الأشعري، ت: نعيم زرزور، ط: المكتبة العصرية،(ط١)لسنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

٢٦. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ،ط:مؤسسة الحلبي، (د/ت)

٢٧. من أعلام المجددين، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط: دار المؤيد، (ط١) لسنة١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٨. المواقف في علم الكلام : الإيجي ،ط: عالم الكتب – بيروت–لبنان،(د/ت).

٢٩. نهاية الاقدام في علم الكلام، عبدالكريم الشهرستاني،ت: الفرد جيوم،(د/ ط، ت).